قال الأَزهريّ : يَسأَل السّائلُ عن هذا البَيت فيقول : الإِدْلاجُ : سَيرُ اللّيل فكيف يقول : أَصبحَ القومُ وهو يأْمر بالإِدلاجِ ؟ وقد تقدّم الجواب في " دلج " فراجِعْه . صَبَحَهُم : " سَقَاهم صَبُوحاً " من لَبنٍ يَصْبَحُهم صَبْحاً وصَبَّحَهم تَصْبيحاً كذلك . " وهو " أَي الصَّبوحُ : " ما حُلِبَ من اللَّبنِ بالغَدَاةِ " أَو ما شُرِبَ بالغَدَاةِ فما دُونَ القائِلةِ . وفِعْلُك الاصْطِباحُ . الصَّبُوحُ أَيضاً : كلُّ ما أُكِلَ أَو شُرِبَ غُدْوَةً وهو خِلافُ الغَبُوقِ . والصَّبُوح : " ما أَصْبَحَ عندَهُم من شَرَابٍ " فشَرِبوه . الصَّبُوح : " النَّاقَةُ تُحْلَب صَبَاحاً " حكاه اللِّحْيَانيّ وأَبو الهَيثم . وقولُ شَيْخِنا إِنه غريبٌ محلُّ نَظرٍ . من المجاز : هذا " يومُ الصَّبَاحِ " ولَقِيتُهم غَدَاةَ الصَّبَاحِ : وهو " يَومُ الغَارَةِ " قال الأَعشى : .

به تَرْعُفُ الأَلْفَ إِذْ أُرْسِلَتْ ... غَدَاةَ الصَّبَاحِ إِذَا النَّقْعُ ثارا

يقول : بهذا الفَرَسِ يَتقدَّم صاحبُه الأَلْفَ من الخَيْل يَومَ الغَارَةِ . والعرب تقول إِذا نَذِرَتْ بغارَةٍ من الخَيْل تَفْجَؤُهم صَبَاحاً : يا صَبَاحَاه : يُنْذِرُونَ الحَيَّ أَجْمَعَ بالنداءِ العالي . ويُسَمُّون يومَ الغَارةِ يَومَ الصَّبَاحِ لأَنّهم أَكْثَر ما يُغِيرونَ عندَ الصَّباح . " والصُّبْحَة بالضَّمِّ : نَوْمُ الغَدَاةِ ويُفْتَح " وقد كَرِهه بعضُهم . وفي الحديث أَنه نَهَى عن الضُّبْحَة وهي النَّومُ أَوّلَ النَّهَار لأَنه وَقتُ الذِّكْرِ ثم وَقْتُ طَلَبِ الكَسْبِ . وفي حديث أُمِّ زَرْعٍ أَنها قالت : " وعندَه أَقول فلا أُقَبَّح وأَرْقُد فأَتَصبَّح " . أَرادتْ أَنها مُكْفِيَّةٌ فهي تَنَام الصُّبْحَة . الصُّبْحَة : " ما تَعَلَّلْتَ به غُدْوَةً " . " وقد تَصَبَّحَ " : إِذا نام بالغَدَاةِ . وفي الحديث : " مَنْ تَصبَّحَ بسَبْعِ تَمْرَاتٍ عَجْوَة " هو تَفَعَّلَ من صَبَحْتُ القَوْمَ : إِذَا سَقَيْتهم الصَّبُوحَ وصَبَّحت التّشديد لُغة فيه . الصُّبْحَة والصَّبَحُ : " سَوَادٌ إِلى الحُمْرَةِ أَو لَوْنٌ يَضْرِب إِلى الشُّهْبَةِ " قَرِيبٌ منها " أَو إِلى الصُّهْبَةِ " وجَزَمَ السُّهَيليّ بأَن الصُّبْحةَ بياضٌ غيرُ خالصٍ . وقال اللّيث : الصَّبَح : شِدَّةُ الحُمْرَةِ في الشَّعر . " وهو أَصْبَحُ . وهي صَبْحاءُ " . وعن اللّيث : الأَصْبَح قَريبٌ من الأَصْهَب . وروَى شَمِرٌ عن أَبي نَصْرٍ قال : في الشَّعر الصُّبْحَةُ والمُلْحَة . ورجل أَصْبَحُ اللِّحْيَةِ : الّذي تَعلوا شَعرَه حُمْرَةٌ .

وقال شَمِرٌ : الأَصْبَحُ : الّذي يكون في سَوادِ شَعرِهِ حُمْرةٌ . وفي حديث المُلاَعنة : " إِنْ جاءَتْ به أَصْبَحَ أَصْهَب " الأَصْبَح : الشّديدُ حُمْرةِ الشّعرِ . ومنه صُبْحُ النّهارِ مُشتَقّ من الأَصْبَح . قال الأَزهريّ : ولَوْنُ الصّبْح الصّادقِ يَضْرِب إِلى الحُمْرَةِ قليلاً كأَنّها لَوْنُ الشّفَق الأَوّلِ في أَوّلِ اللّيْل . " وأَتَيْنُه لِصُبْحِ خامسةٍ " بالضّم كما تَقُول : لِمُسْيِ خامسةٍ " ويُكْسَر أَي لِصَبَاحِ خَمسةِ أَيامٍ " . وحكَى سيبويه : أَتَيتُه صَبَاحَ مَسَاءَ . من العرب مَن يَبْنِيه كخَمْسَةَ عَشَرَ ومنهم من يُضيفُه إِلاّ في حَدّ الحالِ أَو الظّرف . " وأَتيْتُه ذَا صَبَاحٍ وذا صَبُوحٍ أَي بُكْرَةً " . قال سيبويه : " لا يُستعمل إِلاّ ظَرْفاً " وهو ظَرْفٌ غيرٌ مُتمكّنٍ . وقد جاءَ في لُغَةٍ لخَثْعَم " اسماً " قال أَنَسُ بنُ نُهَيْك منهم : .

عزَمْتُ على إِقامةِ ذِي صَبَاحٍ ... لأَمْرٍ مَا يُسَوّدُ مَنْ يَسُودُ